

محمد أركون: رؤية في مسارات الأنسنة

د. زرفة بولقواس - جامعة بسكرة - الجزائر

Abstract :

This study aims to analyze Mohammed Arkoun's vision of humanity, which is the basis of Enlightenment thought. Sought to find the roots of the philosophical concept, especially in the classical golden Age civilization and precisely the atawhid and Muskawih generation.

The choice of Muhammad Arkoun's humanism was important not to his position, but how he was confirmed before the nineteenth century in Western thought, and signs of pride as the first to use the term humanism in Islam thought, despite the recognition of the flourishing human rationalism in the fourth century AH

The models of humanism were discussed at Arkoun without exceeding his vision of humanism and the difficulty of achieving it in reality, in addition to analyzing the most important dimensions of humanity, from the mentality to the historical.

الملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى فحص وتحليل موقف محمد أركون تجاه الأنسنة، والتي هي أساس الفكر التنويري، إذ بارع في التنقيب عن جذور المفهوم فلسفيا وبالأخص في حضارة العصر الذهبي الكلاسيكية خصوصا جيل التوحيدي ومسكويه.

واختيار موضوع الأنسنة لمحمد أركون كان المهم فيه ليس موقفه في حد ذاته، وإنما كيف استدل على وجوده قبل القرن التاسع عشر في الفكر الغربي، ودلالات الافتخار بكونه أول من استعمل مصطلح الأنسنة في الفكر الإسلامي، رغم اعترافه بازدهار التيار الإنساني العقلاني في القرن الرابع الهجري.

وتوقفت الدراسة عند نماذج الأنسنة الأركونية دون تجاوز رؤيته للأنسنة الكونية وما تحمله من صعوبة التحقق في الواقع، بالإضافة إلى تحليل أهم أبعاد الأنسنة، بدءا بالعقلية وتوقفا بالتاريخية.

محل الدراسة على طول الفترة مدار البحث.

مقدمة:

يأتي الإنسان إلى الوجود دون أن يكون له دخل في اختيار بيئته العامة والخاصة، غير أنه يتأثر بالتلقين والتقليد والمحاكاة لمن هم حوله في المجتمع، والعديد من الجزائريين ولدوا في بيئة أقل ما يقال عنها أنها بيئة استعمار فرضت القهر عليهم، وانعكس ذلك على توجههم العلمي لمن كان محظوظ بان يلتحق بالمدرسة الفرنسية، كما اقتنص البعض الآخر هذه الفرصة ومنهم محمد أركون الذي دخل التاريخ من البوابة الضيقة، همه في ذلك أن يصلح ما يبدو له غامض فكريا وتشوبه العديد من التساؤلات.

وكانت النزعة الإنسانية أو ما أسأها الأنسنة في الفكر الإسلامي من أكبر المعضلات التي استوقفتها، مما جعله يكرس أطروحته العلمية في البحث عن الأنسنة التي اختفت من ساحة الفكر الإسلامي، ولم تستطع أن تحل محلها نزعة أخرى مشابهة بسبب الممارسة المتوحشة للعامل الديني.

وما تتحقق في الغرب من ازدهار حسب أركون يعود إلى تطور المناهج النقدية المعاصرة، والتي أصبحت تشكل الإطار المعرفي لأي تفكير علمي حول المجتمع، ولذا يدعو إلى إنزال الفكر والتصورات الجمعية التي تحكم الخيال الإسلامي إلى طبيعتها الأنطولوجية بدل أن تكون ملجأ للمقتلعيين من جذورهم أو مأوى للناقمين، كما وسيلة للطامحين، لذا تجده يصر على ضرورة العمل بالموقف الإنساني الذي يجب أن يتواجد في كل الثقافات رابنا الفكر الفلسفي واللاهوتي، وبالتالي إعادة تشكيل فكر إنساني وفق منطق إنساني غير لاهوتي وعبر مسار واضح المناهج والتقنيات ومحدد الأبعاد.

أولا- محمد أركون ومسار إنسان:

1- **النشأة ومنحى الانطلاق:** ولد محمد أركون في الأول من شهر فيفري عام 1928 بقرية تاوريرت ميمون بولاية تيزي وزو في منطقة القبائل الكبرى بالجزائر، وهو من أسرة أمازيغية بسيطة تقطن في أسفل القرية، فموقع السكن العائلي يشير إلى هرمية نازلة ترتبط بالتاريخ وبمكانة العائلة، وتشير الذاكرة الشفهية لعائلته أنها تركت ناحية قسنطينة لطلب

الحماية في دوار بني بني¹. وفي هذه القرية عاش طفولته ومراهقته، ويذكر أن محمد أركون ظل لا يعرف إلا للغة الأمازيغية بحكم أنها اللغة الأم لسكان القبائل واللغة الفرنسية التي تعلمها في المدرسة الابتدائية، أما تعلمه اللغة العربية فكان بعد خروجه من منطقة القبائل إلى الغرب الجزائري، وبالضبط إلى مدينة وهران أين تابع فيها تعليمه الثانوي شأنه شأن أغلبية الجزائريين الأمازيغ.

2- سيرة التعليم العالي والعمل: أما دراسته الجامعية فكانت بدءا بكلية الآداب بجامعة الجزائر، حيث درس الأدب والفلسفة والقانون، ثم التحق بجامعة "السربون" بناء على توصية من المستشرق "لويس ماسينيوس" وفيها حاز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1969.²

إن دينامية محمد أركون وشجاعته الفكرية جعلته يعمل كأستاذ في عديد الجامعات العالمية مثل جامعة السربون، حيث درس التاريخ الإسلامي (1961-1969)، وجامعة ليون (1970-1972)، جامعة برلين (1977-1999)، جامعة نيويورك (2001-2003). واعترافا بكفاءته وخبرته اختير عضو في عدد من لجان تحكيم الجوائز الدولية، وكذلك المجالس العلمية، فقد حظي بعضوية مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن سنة 1993 حتى وفاته 2010، إن هذا التواجد في الغرب يؤكد أن محمد أركون من أبرز وجوه الفكر الإسلامي المعاصر الذي تتطلب منه شجاعة فكرية ومرونة منطقية أخضعته في العديد من المحطات إلى مساءلات سجالية، أقنع بها البعض كما عارضه البعض الآخر.

3- محطات الموقف: يعد محمد أركون من أبرز المفكرين الذين اهتموا بنقد العقل الديني انطلاقا من النصوص الدينية وأصول الفقه في علاقة بالظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والعقائدية متبنيا في ذلك مقاربات منهجية حديثة مثل الأنثروبولوجيا التاريخية، وقد سعى إلى تأسيس ما يعرف "الإسلاميات التطبيقية"، ومنها كان اهتمامه بالمفاهيم وتاريخيتها مثل الدين الدولة والوحي والحلال والحرام والمقدس والعقل...³ أما مواقفه فتجلت من خلال كتاباته المختلفة، والتي كتبت في جزء كبير منها باللغة الفرنسية، وترجم البعض منها إلى اللغة العربية مثل: "الفكر العربي"، "الإسلام بين الأمس والغد"، "الفكر الإسلامي

قراءة علمية"، "نزعة الأنسنة في الفكر العربي"، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية".

ثانياً: الأنسنة المفهوم والمرتكزات:

إن مصطلح الأنسنة لم يعرف في الفكر العربي الإسلامي إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين وأرتبط بالدرجة الأولى بمحمد أركون، حيث اشتغل على موضوع الأنسنة في أطروحة قدمها لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: **L'Humanisme Arabe Au YX^{ème}**

فأركون اقترح مصطلح الأنسنة ليلفت الانتباه كما يقول: "إلى تلك الأبعاد الغائبة بعد ازدهارها في عهد الأدب والأدباء، ثم لكي أدعو إلى إلحاح إلى ضرورة إحياء الموقف الفلسفي في الفكر العربي خاصة والفكر الإسلامي عامة، وكنت أعتقد ولا أزال بأنه السبيل إلى الاعتناء بمصير الإنسان اعتناء شاملاً نقدياً منيراً، بدون التساؤل الفلسفي عن آفاق المعنى التي يقترحها العقل ويدافع عنها".⁴

فحسب أركون دائماً فإن الأدبيات الفلسفية للقرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي، أوضحت وجود نزعة فكرية متمركزة حول الإنسان في المجال العربي، وهي نزعة إنسانية تشبه النزعة الإنسانية الغربية في عصر النهضة، لأنها اهتمت بالإنسان وليس بالله فقط، فما هي الأنسنة؟

1- المفهوم: تعرف الأنسنة بأنها: تلك المركزية التي تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لقوى خارقة للطبيعة البشرية أم بتشويبه من خلال استعماله استعمالاً دونياً دون الطبيعة البشرية.⁵

وتمثل الأنسنة: قطيعة حاسمة مع كل نظرة لاهوتية قروسطية صادرت كيان الإنسان باسم الإيمان، وتمثل في الوقت نفسه تأسيساً لرؤية جديدة تحل الإنسان محل المركز من الوجود بعد أن كان من الوجود على هامشه.⁶

وهذا فالأنسنة تتمفصل مع العقلانية والعلمانية والتاريخية، فهذه العناصر تشكل جوهر الأنسنة لأن الاهتمام بالإنسان معناه إعطاء الأولوية لعقله في الإدراك والتمييز وبناء الأحكام المعيارية.

كما صاحبت الأنسنة مصطلحات كالنزعة الإنسانية والانسانية وتأتي كلها في اللغة العربية كترجمات للمصطلح الفرنسي "Humanisme" والذي يشتق من اللغة اللاتينية وتحديدًا من كلمة "Humanistas" والتي تعني تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات.⁷

أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر "Humanisme" فلم تشتق إلا في القرن التاسع عشر، مع العلم أن مدلولها كان موجودًا منذ وقت طويل، وكانت كلمة الإنسي أو الإنساني تطلق على البحاثة المتبحرين في العلم وبخاصة علوم الأقدمين اليونان والرومان.⁸ يتجلى من التوضيحين أن معاني الأنسنة بأشكالها المختلفة ضربت جذورها في العصور القديمة، وبالأخص نموذج تعاوي الدراسات الأدبية.

كما تعرف النزعة الإنسانية بأنها: "نظرية ترفض كل أشكال الاغتراب والاضطهاد وتطالب باحترام الكرامة الإنسانية وحق الأشخاص في أن يعاملوا كغايات في ذاتها."⁹ انطلاقًا مما سبق فالأنسنة هي الوجه الآخر للعلمنة، فما أجزته الحدائثة الغربية هو كونها أحلت سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة محل اللاهوتية عموماً وهيمنتها على العالم، وذلك على عكس ما كان سائداً في القرون الوسطى.

2- المرتكزات: في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حصل الإنسان الغربي على حق قراءة وتأويل الكتاب المقدس بشكل مباشر، كما تم رفض تعاليم الكنيسة لاحتكارها عقائد الإيمان ومنهاج التفسير، وتمت رفض عملية التوسط بين الإنسان والله، وبين الإنسان والنص، فأصبحت علاقة الإنسان بالنص مباشرة، واستقل الإنسان في وعيه وفهمه وسلوكه وإرادته، واحتل بذلك مركزية الكون وأصبح غاية في ذاته، ومن هاته الفكرة تم استنباط مرتكزات الأنسنة والمتمثلة أساساً في النقاط التالية:¹⁰

- يجب على الإنسان أن يبحث دائماً على معنى وجوده وحياته.
- الحياة في حد ذاتها شيء رائع ويستحق أن يعيشها الإنسان مهما احتوت على صراعات وتناقضات.

- على الإنسان أن يواجه الألم ويتسلح بالأمل في نفس الوقت.
- على الإنسان أن يهتم بالمادة قبل الروح، لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع إدراكه والسيطرة عليه.

إن ما يلاحظ على هذه المرتكزات هي أنها منتوج عصر التنوير والتراجع عن الرؤية اللاهوتية للعالم والإنسان معا.

ثالثاً: الأنسنة الأركونية وسياقات المسار:

لقد كانت مرحلة ما قبل القرن الرابع الهجري للفكر الإسلامي وفق رؤية أركون هي مرحلة ما قبل الأنسنة، لأن النصوص الدينية هي التي كانت تصف ماهية الإنسان وتحدد له ما يفعله من عدمه، فالنص كان نقطة البداية والنهاية. وبحلول القرون الوسطى برز تيار إنساني عربي يحمل نزعة مرتكزة على الفلسفة والأخلاق الحميدة ومبادئ الإسلام الحنيف، فيما أروبا منغمسة في ظلام الأصولية المسيحية.

1- الأنسنة في الفكر العربي الإسلامي: إن تصور أركون للنزعة الإنسانية التي تمثل محبة الإنسان واحترامه، باعتباره أعظم كائن على وجه الأرض، في حقيقته كان امتداد مثمر لأنسنة العصر الذهبي الذي أنتج نخبة من المثقفين على اختلاف دياناتهم- مسلمين، مسحيين، يهود- وأعراقهم عرب أم فرس أم أما زيغ، المهم عبوا عن نزعة إنسانية راقية من خلال التوفيق بين التراث الديني وبين الفلسفة العقلانية، أما خصائصها فكانت:¹¹

- افتتاحها على العلوم الأجنبية، وهذا يعني أن الموقف الإنساني يعترف بالتعددية المذهبية والثقافية واللغوية، وهذا التعدد صفة أساسية من صفات الموقف الإنساني، والإنسية هي المزج بين الثقافات والحضارات وصهرها في بوتقة ما، وبيئة ما.

- حصول عقلنة للظواهر الدينية، وذلك عن طريق ضبطها ومراقبتها، وإفساح المجال للتأويل العلمي أو السببي للظواهر.

- إعطاء الأولوية للاهتمام بالمشاكل الأخلاقية والسياسية.

- حصول تنمية للفضول العلمي وللحس النقدي، الشيء الذي أدى إلى تنظيم جديد للمعرفة.

- ظهور قيم جديدة لم تكن معروفة من قبل كفن العماره والديكور.

يتضح من هذه الخصائص أن الموقف الإنساني يستوجب تطعيمه بروح البحث وإرادة الانفتاح، دون التفريط وممارسة العقلانية النقدية، التي تمثل مشروع أركون.

أ- **التصور الأركوني لبروز الأنسنة الإسلامية:** اعتقد محمد أركون بوجود أنسنة عربية إسلامية تقوم على الفلسفة العقلانية التي تتخذ من الإنسان محورا لها، وأهم العوامل التي ساعدت على ذلك:¹²

- تراجع هيبة الخلافة وعلمنة السلطة السياسية.

- غلبة العقل الفلسفي على العقل المذهبي والطائفي.

- انتشار روح التسامح عن طريق تعدد الثقافات واختلافها.

- انتشار الفلسفة والاهتمام بها رغم تحجيمها من قبل.

- تقليص الفوارق بين الإيمان والعقل، وبين الحكمة والتاريخ.

لكن هذه العوامل اختفت إلى غير رجعة بتفكك الدولة المركزية التي تركزت على الدعم الفكري الفلسفي والعلمي، بالإضافة إلى تحول الطرق التجارية عن المنطقة العربية لمصلحة أوروبا وفق تحليل أركون لتاريخية الفكر العربي.

ب - **عوائق الأنسنة في الفكر العربي المعاصر:** رغم جهود أركون في البحث عن نماذج

الأنسنة في الفكر العربي الكلاسيكي أمثال التوحيدي، الذي رفض النزعة الإنسانية الشكلية والسطحية حسبه، إلا أنه توصل إلى قناعة عن أسباب عدم التمكن من إحياء هذه النزعة لتتناغم بالتوازي مع النزعة الغربية وهي:¹³

- تدخل السلطة السياسية باستمرار في تحديد ما هو ثقافي وما هو ديني، والهدف هو فرض نمط ثقافي موحد للتغطية على التعددية اللغوية والدينية التي تميز المجتمع الإنساني.
- عدم رؤية الحقيقة من عدة زوايا.
- اعتقاد كل مذهب أو كل فريق أو جماعة دينية أو سياسية أو فكرية، أنها على صواب وغيرها على باطل.
- كل جماعة تحتكر الحقيقة لذاتها، ولا تفتح على غيرها من الجماعات، لأنها ضربت على نفسها سياجا دوغماتيا وأصبحت سبجينة له.
- صعوبة التمييز بين الفكر الأسطوري والفكر العقلاني.

2- الأنسنة في الفكر الغربي: ارتبط بروز الأنسنة بعصر الإصلاح الديني وعصر النهضة في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث بدأ التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل، وأهم ما ركز عليه الإصلاح الديني هو الاعتراف بدور العقل ومكانته في البحث الحر، وزعزعة الأستاذية العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة دون الخروج النهائي عن الإطار الأنطولوجي العام للوحي، وفي هذا السياق بدأ رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان، وجعل علاقة الإنسان بالله مباشرة، كما تم رفض احتكار تفسير الكتاب المقدس، وإعلان حرية الإيمان.¹⁴

إن ارتباط الأنسنة بعصر النهضة، لا يعني بالجزم أن جذورها غير ممتدة إلى الفكر القديم، وخاصة اليوناني ومن ثم العصر العربي الإسلامي في القرن العاشر الميلادي، أين أعطي الاهتمام للإنسان بغض النظر عن بيئته الثقافية، و الأنسنة الغربية من حيث تحريرها للذات الإنسانية في وعيها لذاتها وللعالم برزت بشكل لا يقبل التأويل في عصر النهضة ومرت بعدة محطات متتابعة أهمها:¹⁵

- **أنسنة عصر النهضة:** في هذه المرحلة يتجلى الاهتمام بالإنسان، إذ أصبحت مركزية الإنسان هي السمة الأساسية للاهتمامات الفكرية والفلسفية.

- **أنسنة عصر التنوير:** رغم الاختلافات الفكرية السائدة في هذه الفترة ، إلا أن أنسنة هذا العصر اتضحت في اكتشافها للعقل النقدي، وفي فهمها التاريخي للظواهر الإنسانية، وفي صياغتها لبدايات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- **أنسنة القرن التاسع عشر:** إذ تأكدت في هذا القرن قدرات العلم على تحقيق التقدم من خلال إعادة صياغة العالم عن طريق تبني المشروعات الاقتصادية الصناعية الجديدة، وأصبح التقدم العلمي ملهما لصياغة القوانين الاقتصادية.

- **أنسنة القرن العشرين:** تمثلت في بروز علوم اجتماعية جديدة كعلم الاجتماع وعلم النفس لها مناهجها وأدواتها في دراسة ظواهر إنسانية بعيدة عن التقليد النفعي الذي كان سائدا في الفكر الاجتماعي عموما.

فالأنسنة تؤمن بأن الإنسان هو مصدر لكل معرفة، كما أنها ترفض كل أشكال الاضطهاد وتطالب باحترام الكرامة الإنسانية وحتى الأشخاص في أن يعاملوا كغايات في ذاتها، وإن كان هذا منطق الأنسنة الغربية، لكن الفعل الممارس من قبل الغربيين أنفسهم في القرن العشرين وفي بدايات القرن الواحد والعشرين تؤكد أنها نزعة فكرية تتجاوزها الاتجاهات المختلفة أكثر منها قيم أخلاقية تسعى لتحرير الإنسان من الرؤية اللاهوتية، وتجعل في مرتبة الحاكم الأول وصاحب السلطة في كل ما يتعلق بمعارفه ومساغيه وماله وانجازاته.

رابعا: نماذج الأنسنة الأروكونية:

تمثل الأنسنة منحى فكري تشترك فيه العديد من الاتجاهات الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، كما تظل تعبيرا عن وجهة نظر شخصية، وعلى هذا الأساس كرس أركون معظم ممارساته الفكرية إلى توصيف أنواع الأنسنة، وذلك وفق المنطق الفكري السائد الذي عاصره ومنها:

1- **الأنسنة الدينية:** إن الديانات تقدم نفسها على أنها مجموعة من العقائد والشعائر، تتضح على شكل حقائق مطلقة في التصورات والسلوكيات الموجهة للإنسان والمزم بها

إتباعاً، وفي هذا يؤكد أركون: "أن الموقف الديني للروح لا يسمح إلا بصيغة معينة من صيغ الأنسنة، صيغته محصورة داخل جدران النظام العقائدي الخاص بكل دين، ويقدم مؤلف هذا النظام على أساس أنه الإله المتعالى المليء بالنيات الطيبة والحسنة تجاه الإنسان.¹⁶

يتضح من موقف أركون أن مصير الإنسان في الأنسنة الدينية مرتبط بالتعاليم الإلهية المنزلة، لأن الله هو الذي يرسم للإنسان حدود فاعليته المعرفية والأخلاقية، وعليه يدعو إلى ضرورة إعادة التفكير من جديد بكل المسائل المتعلقة بالشخص والتي رُكنت في خانة مستحيلات التفكير فيها، وذلك بالعودة إلى الفترة الإنسية في القرن الثالث والرابع الهجريين لترقية الإنسان في السياقات الإسلامية.

2- الأنسنة الأدبية والفلسفية: إن الأنسنة الأدبية وفق رؤية أركون هي التي ترتبط بأرستقراطية المال والسلطة، فبعض المواهب لا تنفتح إلا في ساحات الأمراء أو في صالونات الأغنياء الكبار، وهذا النمط من الأنسنة سيطر على كل الحقب المضيئة في تاريخ الثقافات وسيبقى.¹⁷ يتجلى من هذا الطرح أن الأنسنة الأدبية تزدهر في فترات التاريخ الثقافي المنتعش، كما حدث بالنسبة للسياق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

أما الأنسنة الفلسفية فتركز على الإنسان بكونه محور الحياة فوق الأرض، كما أنها تقارب المسألة الدينية بمنهجية مقارنة الأديان، وتتجاوز الاختلاف بين المعرفة الدينية المستندة على الإيمان غير النقدي وبين المعرفة العلمية المنتجة عن طريق العقل المستقل والمتفاعل مع الآخر.

3- الأنسنة الكونية: كان أركون يود التوصل إلى نزعة إنسانية كلية تستطيع أن تتجاوز حدود الأديان والطوائف والقوميات والأعراق، نزعة إنسانية حقيقية لا تستثني إنساناً واحداً، والنزعة الكونية الإنسانية في تصوره هي النزعة التي ينبغي عليها أن تشمل: "جميع أفراد الجنس البشري بغض النظر عن أصولهم الجغرافية أو الدينية أو المذهبية أو العرقية أو اللغوية، صحيح أن الإنسان يولد داخل دين معين أو لغة معينة أو مذهب محدد، ثم يتربى اجتماعياً من خلال النواميس الأخلاقية والقانونية لأصله هذا.

لذا يعتقد أركون أن أنسنة العلاقات الاجتماعية أمر ضروري، ولا يمكن أن يتم إلا من خلال بيئة محسوسة ومحددة بدقة، ولكن الموقف الإنساني يتمثل بانتهاك وتجاوز كل الحدود الجغرافية والطائفية والمذهبية واللغوية، ولا يعترف إلا بالإنسان.¹⁸

ويبقى العنف هو العائق الكبير أمام تحقيق النزعة الإنسانية الكونية، التي لا تستثني إنسانا واحدا من نعمها، وهي النزعة التي يشدو أركون أن تتحقق ليم تجاوز الظروف الصراعية لإنتاج التاريخ البشري.

خامسا: أبعاد الأنسنة الأركونية:

إن أبعاد الأنسنة وفق مسار أركون الفكري، تتمحور في الفلسفة، وأهمها أنسنة النص والعقل، بالإضافة إلى الأنسنة السياسية والتاريخية، ولكل بعد من هذه الأبعاد مستويات معرفية يتمركز حولها، وفي هذه المقاربة سيتم استبعاد أنسنة النص، لما تشكله من عمق إستيمولوجي والاكتفاء بالأبعاد الثلاثة وهي:

1- الأنسنة العقلية: إن أنسنة العقل بالنسبة لأركون لا تتحدد إلا بتاريخيته، ويرى أن العقل التاريخي هو الذي يعمل عبر ميكانيزمات بعيدة عن مسار الثابت والمطلق. وقسم العقل الإسلامي الذي يمثل محور اهتمامه إلى أزمنة معرفية، تبدأ بما أسماه الأصل الإلهي للعقل الذي يعتبر مشترك بين جميع الأديان التوحيدية. ومسلمة هذا العقل هو الوحي والإيمان به، والتاريخ بالنسبة له يخضع لحقيقة الوحي وأن الأعمال في الحياة الدنيا لا تتخذ معناها السليم إلا في الحياة الأخرى.

فالعقل نفسه له تاريخ، فالعقل الذي كان يستخدمه الحسن البصري ليس هو العقل نفسه الذي استخدمه ابن خلدون، والعقل الذي استخدمه ابن خلدون ليس هو نفسه الذي استخدمه محمد عبده. والعقل الذي استخدمه محمد عبده ليس هو نفسه الذي استخدمه الذي استخدمه طه حسين، وعقل طه حسين ليس هو العقل نفسه الذي استخدمه شخصيا.¹⁹

يلاحظ أن الطابع المتغير والمتحول للعقل يقود حسب أركون إلى تعدد العقلانيات، وهذا كله بسبب اختلاف المراحل التاريخية، لأن كل مرحلة من مراحل التاريخ لها خصائصها، وبالتالي العقل مرتبط بالمشروطيات الاجتماعية ومستوى التقدم المعرفي الذي وصل إليه المجتمع البشري.

2- الأنسنة السياسية: لقد بحث محمد أركون في العديد من الإشكاليات المفهومية المتعلقة بالسياسة كالعلمنة والسلطة السياسية، ومفهوم السيادة العليا سواء في الفكر العربي الإسلامي أو الغربي على حد سواء، وكشف تجليات عدة، منها بالأساس توظيف السلطة السياسية للسيادة العليا، فالسلطة فأن كانت هي محصلة للقوى المتصارعة، والمستحوذ عليها يرر مشروعيتها لكي يقبل بها الجميع، وبهذا فأن الأنسنة السياسية تعني أن الظاهرة السياسية يمكن فهمها بشكل موضوعي، من حيث هي ظاهرة اجتماعية لها محدداتها.

والظاهرة السياسية عند أركون تبحث من خلال محاولة بيان التماثل بين الديني البشري والالهبي المقدس، في فضاء اجتماعي محدد، وهو فضاء جماعة الحكام وجماعة المحكومين، وهو فضاء هرمي تراتبي يتشكل من الرئيس والمرؤوس، وهذا التماثل يتم تحديده من خلال عدة ثنائيات هي: الأخلاقي/القانوني، الروحي/الزميني، السيادة العليا/السلطة، المشروعية/الدولة، الدين/السياسة.²⁰

وأكد أيضا أن السلطة في التاريخ الإسلامي كانت سلطة زمنية موجهة من قبل السيادة العليا.

3- الأنسنة التاريخية: إن أنسنة التاريخ عند أركون تقوم على رفض النظرة الخطية والجوهرية للتاريخ، أي رفض إعطاء معنى مسبق للتاريخ، فالإنسان هو الذي يضيف المعنى على التاريخ، كما أن الأنسنة تقوم على تعديل التاريخانية في تطرفها المادي، لأنها لا تهتم إلا بالوقائع المادية، وهي بذلك تلغي جوانب غير مادية مهمة في حياة الإنسان كالخيال والحلم والأسطورة...الخ.²¹

فالأنسنة تركز عودة الإنسان إلى التاريخ، فالإنسان هو الفاعل والفاعل، وبهذا فأنسنة التاريخ تمثل بعدا فلسفيا أساسيا في مشروع الأنسنة عند أركون، شريطة ألا يخضع التاريخ للتصورات المسبقة.

خاتمة:

يعتبر محمد أركون سليل كبريات المدارس والمناهج الغربية النقدية، ذاك ما انعكس في أعماله البحثية خصوصا موضوع الأنسنة في الفكر العربي الإسلامي، والتي تعتبر بالنسبة إليه بوابة لفك الارتباط بالمتقدس، علما بأن الأنظمة الدينية حسبه سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية، هي أنظمة مغلقة بسياجاتها الدوغمائية، وتمارس دورها بصفتها أنظمة ثقافية.

ورغم قناعته بأن الأنسنة التي شهدتها المجتمع العربي الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري لم تعد واقعة، بل أصبحت شيء من التاريخ، إلا أنه أعطى تصور للأنسنة الكونية وبأبعاد فليفيّة، تنصهر ضمن آلياتها كل شعوب الكون عللا اختلاف دياناتهم وأعرافهم ولغاتهم، ولازم هذا التوقع تفتن إلى صعوبة تجسيد التصورات الاستنولوجية على الأرض لمعطيات أدرك هو ذاته البعض منها.

الهوامش:

¹-Mouhamed Arkoun . Humanisme et Islam Combats et Propositions, librairie Philosophique j.vrin,Paris,2005,p295

²-Ibid, p299.

³- حمزة محمد. إسلام المجددين ، ط1، بيروت:دار الطليعة للطباعة والنشر، 2007، ص. 90.

⁴- محمد أركون، ترجمة:هاشم صالح. معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية ، بيروت: دار الساقي، 2001، ص. 07.

⁵- كيحل مصطفى. الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون. ط1، الرباط: دار الأمان، 2011، ص. 58.

⁶- المرجع نفسه، ص. 59.

⁷- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، القاهرة:دار ابن زيدون، 1986، ص. 71.

⁸-هاشم صالح. مدخل إلى التنوير الأروبي، بيروت: دار الطليعة للطباعة، 2005، ص. 75.

⁹-Noella Baraquin et autres. Dictionnaire de philosophie, Paris :Armond colin éditeur,1995,p154.

¹⁰-علي حرب. الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999، ص. 214 .

¹¹- كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص. ص. 63-64.

¹²- محمد أركون، ترجمة:هاشم صالح. نزعة الأنسنة في الفكر العربي ، بيروت: دار الساقي، 1997، ص. 612.

¹³- كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص. 54.

¹⁴- هاشم صالح، مرجع سابق، ص. 75.

¹⁵- عماد الدين إبراهيم خليل."النزعة الإنسانية، الجذور والنشأة"، مجلة المتكف، العدد3091، 2015.

¹⁶- محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص. 75.

¹⁷- كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص. 18.

¹⁸- محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص. 38.

¹⁹- محمد أركون، ترجمة:هاشم صالح. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، بيروت: دار الساقي، طه، 2012، ص. 233.

²⁰- كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص. 207.

²¹- المرجع نفسه، ص. 239.

